



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثبات على نهج الإستقامة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

الثبات على دين الله تعالى وملازمة صراطه المستقيم والمداومة على الطاعة والحدار من الوقوع في المعاصي والمحرمات دليل صدق الإيمان، وثمره الهداية، وسبب حصول الخيرات، وتنزل الرحمت، والوصول إلى أعلى المقامات في جنات التعيم، وتحقيق الكرامات في الدنيا والآخرة، به يحصل اليقين ومرضاة رب العالمين، ويجد المسلم حلاوة الإيمان وطمأنينة النفس وراحة البال وبرد اليقين؛ (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين)، (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) إن الثبات على دين الله، هو الرجولة الحقة، والائتصار العظيم، في معركة الطاعات، والأهواء، والرغبات، والشهوات، وهو الضمان بإذن الله للحصول على الجنة والمغفرة؛ ولذلك استحق الثابتون المستقيمون أن تنزل عليهم الملائكة في الحياة الدنيا، لتطرد عنهم الخوف والحزن، وتبشرهم بالجنة، وتعلن وقوفها إلى جانبهم في الدنيا والآخرة، (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون *نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون *نزلا من غفور رحيم) قال لم يبشركوا بالله شيئا، ولم يلتفتوا إلى إله غيره، ثم استقاموا على أن الله ربهم، وقال الحسن البصري: أبو بكر الصديق رحمه الله: "استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته". ما أجمل الطاعة إذا أتبعنا بالطاعة، وما أعظم الحسنة

وهي تنضم إلى الحسنة ، لتُكوّن سلسلة من الأعمال الصالحة ، التي ترفع العبد إلى الدرجات العلى ، وتُنجيه من النار ، برحمة الله وفضله ، وما أتعس المرء وأقل حظّه من الإسلام ، أن يهدم ما بنى ، ويُفسد ما أصلح ، ويرتد إلى حنافة المعصية ، في صلاته: {اللهم إني أسألك الثبات } وظلمة الكفر ، بعد أن ذاق لذة الإيمان وحلاوة الطاعة. ولقد كان من دعاء المصطفى مداومة على الأعمال الصالحة } في الأمر والعزيمة على الرشد { رواه النسائي وأحمد والترمذي وسنده قوي. وكان من هديه يختص من الأيام شيئاً؟ قالت: لا، كان عمله ديمة ، } ، ولو كانت قليلة؛ سُئلت عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله أحب الأعمال إلى الله تعالى أذومها وإن قلّ؟ متفق عليه. { } : يطيق؟! متفق عليه. ويقول } وأيكم يطيق ما كان رسول الله قال الحسن البصري رحمه الله: "أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل الشهر أو الشهرين ، أو عاماً أو عامين ، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجل دون الموت"، ثم قرأ قول الحق سبحانه وتعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: 99].

وإن الثبات على الطاعة في هذا الزمان ، ولزوم الصراط المستقيم عزيز وعظيم ، لا سيما مع فساد الزمان ، وكثرة المعريات بقوله: {بادروا بالأعمال فتناً } وتتابع الشهوات وكثرة الشبهات ، وضعف المعين ، وكثرة الفتن التي أحبر عنها المصطفى كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا { رواه مسلم. والتفلس الثابتة على دين الله تعالى تحتاج إلى المراقبة التامة والملاحظة الدائمة والأطر على الحق والعدل والبعد عن أمته بقوله: {استقيموا ولن تحصوا} رواه مسلم، } مواطن الهوى ، والمجاوزة والطغيان ؛ ولأجل هذا فقد أرسد النبي الكريم سدداً وقاربوا { متفق عليه، والسداد هو حقيقة الاستقامة والثبات، وهو الإصابة في جميع الأقوال ، والأعمال } : } ويقوله والمقاصد . وأعظم من ذلك وأجل قول الحق تعالى: (فاستقيموا إليه واستغفروا) [فصلت: 6]. وهو توجيه إلهي كريم لجبر ومدار الثبات على دين الله والاستقامة على منهجه وطاعته ، على أمرين . ما قد يحصل من ضعف بشري ، وقصور إنساني عظيمين، هما حفظ القلب واللسان ، فمتى استقاما استقامت سائر الأعضاء وصلح الإنسان في سلوكه وحركاته وسكناته، قال: {الآن وإن في الجسد مضغة، إذا } ومتى اعوجا وفسدا فسد الإنسان وضلت أعضاؤه جميعاً. وفي الصحيحين أنه صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب } ، وعند الإمام أحمد من حديث أنس بن قال: { لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه } ، وعند الطبراني وأحمد } أن النبي مالك قال: { لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلباً } {اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة } بسند صحيح أنه على الرشد.

أن الثبات على دين الله تعالى هو حقيقة الإسلام؛ فإن الإسلام في حقيقته إيمان بالله وحده، ثم استقامة وثبات عليه حتى الممات، وهو دليل على كمال الإيمان وحسن التوكل على الله تعالى وقوة النفس ورباطة الجأش والتأسي بأبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، الذين ضربوا أروع الأمثلة وأصدقها في الثبات على الدين وتبليغ رسالات الله تعالى، رغم ما نالهم من الأذى وما لحقهم من العذاب والضرب، مما سطره كتاب الله تعالى قرآناً ينلني إلى يوم القيامة في صبر أولي العزم من الرسل وثباتهم على دين الله وتبليغ رسالاته. وإن على المسلم الصادق في إيمانه أن يحصر على الثبات سيما في هذا العصر؛ عصر التحديات والفتن والمعريات، فبالثبات يعيش المسلم، ويستمر على منهج الله ثابت الأركان، عظيم القيم، محققاً أسمى غاياته في الدنيا والآخرة. وإن عليه أن يحصر على تحصيل أسباب الثبات والتخلق بأخلاق الثابتين، وفي مقدمتها الصبر، فما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر، وأن يحصر على التحصن بالعلم الشرعي؛ فإنه يجلو العمى، ويبدد الشبهات، ويقود صاحبه إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا تلباس، وأن يتأسي بمواقف الصالحين في الثبات على الحق مع لما كانت الليلة التي أسري بي } : } شدة العذاب الذي لحقهم. حدث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله

فِيهَا أَتَتْ عَلِيَّ رَائِحَةً طَيِّبَةً، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشِي ابْنَةُ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى — يَعْنِي الْمَشِطُ — مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟! قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبِقَرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأَحْمَيْتُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَّا، قَالَ: ذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيِّ لَهَا مُرْضِعٍ، وَكَانَتْهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهُ افْتَحِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَافْتَحَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةَ صَعَارٍ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ. رواه أحمد بإسنادٍ حَسَنٍ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].